

التخطيط اللغوي في بلدان المغرب العربي واقع وآفاق

الأستاذة / زهور شتوح - جامعة باتنة

الملخص

تعيش بلدان المغرب العربي واقعا لغويا حرجا تجسد في إهمال اللغة العربية الفصحى وزحف العامية التي أخذت تتسلل إلى المؤسسات التعليمية والإعلامية والثقافية إضافة إلى الفرنسية التي تعمل على منافستها في ميدان التعليم (العلمي والتقني)، وفي بعض المعاملات الإدارية، وفي الاستعمال اليومي عند الفئة المثقفة من الشعب، وقد جاء هذا المقال ليسلط الضوء على عملية التخطيط اللغوي التي انتهجتها هاته البلدان للحد من هذه الظاهرة، لينتهي بعرض أهم التوصيات والمقترحات للنهوض باللغة العربية لكي تحتل الصدارة في هذه البلدان وتسترجع مكانتها المرموقة.

Abstract

The maghrebarabic countries faces a critical reality embodied in a linguistic struggle, related to the negligence of classical arabic, the creeping colloquial arabic into the educational and cultural institutions and the media, in addition to the french language which works to rival arabic in the filed of education (scientific and technical) and soe administrative transactions, and in daily communications among members of the educated class, this article aims at shedding light on the process of language planning pursued by the countries shown to reduce this phenomenon, and concludes with the most important recommendations and suggestions to promote arabic to take the lead in these countries and to restore its prestigious position.

مقدمة

يدعو المشهد اللغوي القائم في بلدان المغرب العربي خاصة والوطن العربي كافة في الوقت الراهن بأوضاعه ومتغيراته إلى التأمل والنقد، كما يدعو كذلك إلى إعادة استثمار كل الجهود المبذولة في سبيل تطوير أداء اللغة العربية في الحياة العامة. فكل ما حققته الدراسات الأكاديمية في مجال البحث اللساني بصفة خاصة، أو في مجال البحوث المرتبطة باللغة في شقها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والتعليمي بصفة عامة، يجب ألا يبقى مجرد أبحاث علمية محنطة في الأبراج الأكاديمية ورفوف المكتبات، وإنما لابد أن يخدم اللغة العربية وأن يستثمر في تطويرها وتعزيز دورها من خلال استعمالها وقوة تداولها. ولا يمكن لذلك أن يحصل إلا بفحص هذا المشهد، ونقد هذا الوضع اعتمادا على الوقائع ومتطلبات العصر والتحديات.

كما لا يمكن أن يتحقق ذلك إلا بالنظر إلى اللغة العربية باعتبارها منظومة فكرية وتصورية، ونسقا ذهنيا تنطلق منه الرؤى والمواقف، وذلك قصد ترسيخ الوعي اللغوي للمتكم العربي، وربط اللغة العربية وقضاياها بمسألة الهوية بمختلف أبعادها وامتداداتها بوصفها أداة الإنتاج الفكري والثقافي، ووسيلة لمسايرة ظهور المصطلح العلمي في البلدان الأجنبية، ومن حيث هي وسيط إنتاج المعرفة: "المعرفة بمعناها الواسع تعتمد أساسا على اللغة، فاللغة لم تعد أداة للتعبير عن الفكر والثقافة فحسب، ولكنها أصبحت كذلك أداة أساسا في توليد المعرفة وتطويرها ونشرها، خاصة مع المستجدات المتراكمة لتقنيات العلوم والاتصالات. وبهذا بدأت تزداد بشكل ملحوظ أهمية اللغة كعنصر اقتصادي أساسي"².

غير أن ذلك لا يكون إلا بتبني سياسة لغوية معينة وتجسيدها عن طريق تخطيط لغوي يمكنها من الظهور على أرض الواقع. لكن الواقع اللغوي في بلدان المغرب العربي والوطن العربي بشكل عام يعرف تأخرا في مسايرة ظهور المصطلح العلمي والتكنولوجي السريع، وهذا التأخر يعود إلى عوامل تاريخية بالدرجة الأولى. فالجميع يعلم أن بلدان المغرب العربي خضعت لفترة غير يسيرة للسيطرة الاستعمارية الأجنبية، وبعد

²- الشريف حسن ، العولمة والثقافة واللغة :القضايا الفنية في : أسئلة اللغة ، الرباط ، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب ، 2002، ص:43.

استقلالها السياسي وجدت نفسها تعاني من الآثار اللغوية التي خلفها المحتل ونتيجة ذلك كله تتركز في عنصرين هما :

- أ - وجود لغة المستعمر الأجنبية في مختلف الإدارات ومرافق التعليم.
- ب - ضعف تداول اللغة العربية للتعبير عن المفاهيم العلمية والمعاني الحضارية.

وبالتالي فحركية اللغة العربية في بلدان المغرب العربي مرتبطة بكيفية تدبير المسألة اللغوية من الداخل والخارج، أي البحث عن التوازنات اللغوية التي تجعل اللغة العربية في المركز الذي يدعم باستثمار الازدواجية والتعددية الاستثمار الأمثل، كما يؤسس للسلم اللغوي المبني على سياسة لغوية واعية وتخطيط لغوي محكم، واستعداد لغوي داخلي وخارجي يرفع من مكانة اللغة العربية، ويجعلها لغة المعرفة والثقافة، ولغة التنمية.

والملاحظ للمسألة اللغوية في بلدان المغرب العربي يجدها "متسمة بضعف الإتيان وانعدام التماسك، وعدم استقرار التوازن بين الرغبة في تعزيز الهوية، وضرورة الانفتاح، مما حال دون أن تلعب اللغة دورها الهام كأداة أساس لاكتساب المعارف والمهارات، وتوسيع الآفاق الفكرية للمتعلم، وإقداره على التواصل"³، وهذا ما يستوجب تخطيطا للسياسة اللغوية لإعادة الاعتبار للغة العربية في بلدان المغرب العربي كرمز من رموز هويتها.

وهذه العملية لا تخضع للصدفة ولا تمارس بالقوة، بل تستمد من القانون الذي يجب أن يصدر من الحكومات والمجامع اللغوية وكذا المجالس التربوية التي تعمل كافة على سبك سياسة لغوية واعية. والسؤال الذي يطرح نفسه هو:

- أين موقع بلدان المغرب العربي من التخطيط اللغوي ؟ خاصة وأن مجتمعاته تعرف حالة لغوية متعددة المستويات، لغة عربية فصحي، مجموعة من اللهجات المختلفة إضافة إلى الأمازيغيات والفرنسية. وقبل أن

³ - عبد القادر الفاسي الفهري ، أزمة اللغة العربية في المغرب بين اختلالات التعددية وتعثرات الترجمة ، بيروت ، دار الكتاب الجديدة ، 2010، ص:15.

نجيب عن ذلك دعونا أولاً نتعرف مفهوم التخطيط اللغوي ومختلف أدواره.

أولاً: تعريف التخطيط اللغوي

التخطيط مصدر خطط، وقد جاء في عديد المعاجم العربية تناول هذا المصدر بالشرح اللغوي حيث نجد في لسان العرب: "الخط الطريق المستطيلة في الشيء، والجمع خطوط. وقد جمعه العجاج على أخطاط فقال: ويشحن في الغبار كالأخطاط. ويقال الكلاً خطوط في الأرض أي طرائق... والخط الطريق يقال: إلزم ذلك الخط ولا تظلم عنه شيئاً، قال أبو صخر الهذلي:

صدود القلاص الأدم في ليلة الدجى عن الخط لم يسرب لها الخط سارب"⁴
أما الخليل بن أحمد الفراهيدي فيقول في مادة خطط: "والخطة من الخط كالنقطة من النقطة، والخطوط من بقر الوحش الذي يخط الأرض بأظلافه، وكل دابة تخط الأرض بأظلافها فكذا، والتخطيط كالتسطير، وتقول: خطت عليه ذنوبه، أي سطرته، وخط وجهه واختط صارت فيه خطوط"⁵.

أما صاحب تاج العروس فيقول: "والخط: الكتب بالقلم خط الشيء يخطه خطاً: كتبه بقلم أو غيره قال امرؤ القيس:

لمن طلله أبصرته فشجاني كخط الزبور في عسيب يمان"⁶
يظهر أن أغلب المعاجم تتفق على المعنى اللغوي لمادة "خطط" التي يقصد بها التسطير والأثر والتحضير المسبق لقضية ما، وهذا ما يتناسب مع المعنى الاصطلاحي للتخطيط الذي يرى بأنه عملية منظمة لها قواعدها وأسسها وأصولها من أجل الوصول إلى مختلف الحلول التي تنهي الإشكال، والتوصل إلى تحقيق الأهداف المرجوة.

ويعرفه أحمد شاهين بقوله هو: "إثبات لفكرة ما بالرسم أو الكتابة وجعلها تدل دلالة تامة على ما يقصد بالصورة أو بالرسم"⁷، كما ينظر

4- ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، م7، ص: 254.

5- الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، إيران، 1409هـ، م3، ص 321.

6- المرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، 1965م، ص: 256.

إليه كذلك بوصفه "منهجاً إنسانياً للعمل يستهدف اتخاذ إجراءات في الحاضر ليحني ثمارها في المستقبل... ونظراً للحاجة إليه فإن جميع الأمم تبنت التخطيط وأخذت بالعمل به باعتباره عملية أساسية لا غنى عنها لتحقيق أهداف التنمية.

ويعتبر التخطيط أول عنصر من عناصر الإدارة، وهو الأساس والمبدأ الذي تقوم عليه⁸، وبالتالي يعتبر التخطيط منهجاً تصنف وتركب في ضوءه الأولويات، وذلك حسب الإمكانيات المتوفرة مادية كانت أم بشرية، بهدف النهوض بقطاع من القطاعات الهامة في حياة الأمة.

أما بالنسبة للتخطيط اللغوي فهو: "مجرد محاولة لبسط نوع من النفوذ بقصد التأثير بصورة سريعة وأكثر كثافة واطراداً، وهو منهجية لتنظيم اللغات الموجودة، وتحسينها أو لإنشاء لغات مشتركة جهوية أو وطنية أو دولية"⁹. ويعرفه لويس جون كالفي بأنه: "البحث ومباشرة عمل الوسائل الضرورية لتطبيق سياسة لغوية ما"¹⁰، كما يعرف التخطيط التعليمي بوصفه: "استخدام البصيرة في تحديد سياسة وأولويات وتكاليف النظام التعليمي مع الأخذ بعين الاعتبار الواقع السياسي والاقتصادي، وإمكانية نمو النظام وحاجة البلاد والتلاميذ الذين يخدمهم"¹¹.

وإن من أهم المكوّنات الأساس للتخطيط اللغوي هو تحديد اللغة المراد التخطيط لها ثم وضع سياسة لغوية واضحة ومحددة وشاملة. وشمولية السياسة اللغوية هي أن تضع في اعتباراتها كل المتغيرات الاجتماعية، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة تنفيذ السياسة، ثم التقويم المستمر لها، على أن تبقى في هدفها الذي وضعت من أجله وهو حماية اللغة من المفردات الواردة أو إصلاحها أو إنعاشها أو تحديثها.

⁷ - أحمد شاهين ، قضايا تربوية ، وكالة المطبوعات الكويتية ، الكويت، 2005م، ص:26.

⁸ - المرجع نفسه، ص: 27.

⁹ - خولة طالب الأبراهيمي، الجزائريون والمسألة اللغوية ، ترجمة محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، ط: 03 ، 2007، ص: 190

¹⁰ - louis jean calvet , la guerre des langues et politique linguistique, p:155.

¹¹ - علي السيد ، في قضايا اللغة التربوية، دار المريح ، السعودية، د ت، ص:54.

ويعد التخطيط اللغوي فرعاً من فروع اللسانيات الاجتماعية التي تهتم بدراسة: "علاقة اللغة بالمجتمع ومدى تأثير كل منهما بالآخر، ويعنى التخطيط اللغوي بدراسة المشكلات التي تواجه اللغة سواء أكانت مشكلات لغوية بحتة، كتوليد المفردات وتحديثها وبناء المصطلحات وتوحيدها، أم مشكلات غير لغوية ذات مساس باللغة واستعمالها"¹².

ويرى العالم هيوغن (Haugen) أن أول من استخدم مصطلح التخطيط اللغوي هو "العالم فنريش (Weinreich) عنواناً لندوة عقدت في جامعة كولومبيا عام 1957. والحقيقة أن أول من كتب بطريقة علمية في هذا العلم وألف فيه هو العالم هيوغن في مقالته الموسومة بـ "تخطيط اللغة المعيارية في النرويج الحديث عام 1959م. ولقد عرف آنذاك هيوغن التخطيط اللغوي بأنه عملية تحضير الكتابة وتقنينها وتقعيد اللغة وبناء المعاجم ليستدل ويهتدي بها الكتاب والأفراد في مجتمع غير متجانس لغوياً"¹³.

وقد ظهر هذا العلم إلى حيز الوجود في مطلع الخمسينات من القرن الماضي، وكان أحد الأهداف الرئيسية لهذا العلم: "إبراز دور اللغة في بناء الدول بعد مراحل الاستعمار التي تعاقبت على دول العالم الثالث"، كما ظهر في أعمال فشمان وفرجيسون وداس جوبت عام 1968 تحت عنوان "المشكلات اللغوية في الدول النامية : Languageproblems of developingnations"¹⁴.

وقد بدأ مفهوم التخطيط اللغوي أول الأمر بما يسمى بتحديد اللغة، بمعنى اختيار لغة من بين مجموعة من اللغات في الدول المتعددة لغوياً كالهند وغيرها، ثم تطور هذا المفهوم إلى ما يسمى بـ "تطوير اللغة"، وخاصة إذا كانت اللغة القومية هي لغة أغلبية المجتمع، وركزت على

¹²- فواز عبد الحق الزبون، دور التخطيط اللغوي في خدمة اللغة العربية والنهوض بها، ع.27، مجمع اللغة العربية الأردني، مؤتمر اللغة العربية في المؤسسات الأردنية واقعها وسبل النهوض بها، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، الأردن، ص:85.

¹³- المرجع نفسه، ص:85.

¹⁴- المرجع نفسه، ص:85.

واحد من المجالين المهمين في حياة المجتمع وهما : تسيير أمور الدولة والتعليم¹⁵، وهما مشكلتان تتطلبان تخطيطا لغويا للتغلب عليهما .

كما يذكر فشمان أن من مهام التخطيط اللغوي: " تنظيم دور اللغة عند بناء الدول بعد تحررها من الاستعمار الذي طمس الهوية اللغوية والقومية للشعوب المستعمرة تمهيدا لإحلال لغة المستعمر بدل لغات تلك الشعوب. إن عمر مصطلح التخطيط اللغوي بمفهومه الاستعماري لا يزيد على 60 عاما، ولم يستقر بعد بل وتتجاذبه رؤى ومسلمات متعارضة تنبع من تعارض المصالح"¹⁶.

وقد انصب اهتمام التخطيط اللغوي بادئ الأمر على معالجة تلك المشكلات اللغوية التي خلفها المستعمر الذي طمس الهوية اللغوية والقومية لبعض الدول المستعمرة، وأحلّ لغته (الفرنسية أو الانجليزية) محل اللغات القومية والمحلية. ويمكن أن نستدل على ذلك بما حدث في دول إفريقيا وآسيا، حيث تم إقصاء هذه اللغات عن أداء الوظائف المنوطة بها: " لذا كان تركيز التخطيط اللغوي على العمل الجاد والمنظم نحو إيجاد حلول مدروسة لتلك المشكلات اللغوية حسب حجمها ونوعيتها، ثم اتجهت الجهود بعد ذلك في السبعينات إلى مؤسسة التخطيط، حيث قامت مؤسسات على مستوى دولي ووطني ومحلي لتشرف على عملية التخطيط اللغوي كرسم السياسات اللغوية، والخطط اللازمة لتنمية اللغات وتطويرها واختيار لغات واسعة الانتشار للتجارة والعلاقات الدولية"¹⁷.

والتخطيط اللغوي هو نتاج تضافر جهود علماء عدة كالاقتصاد والتربية والإنسان والاقتصاد واللغة والسياسة، وبالتالي فهو: "علم يقوم على نظام تكاملي تشترك فيه جل العلوم الإنسانية، لأنه يتعامل مع اللغة،

¹⁵ - فاسولد رالف، علم اللغة الاجتماعي، تر: د إبراهيم بن صالح الفلاي، جامعة الملك سعود، 2000م، ص: 440.

¹⁶ - محمد المنجي الصيادي، التعريب وتنسيقه في العالم العربي، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، 1985، ص: 142.

¹⁷ - المرجع نفسه، ص: 143.

واللغة إرث الجميع وليست ملكا لأحد. وهكذا فلا بد من تضافر علوم شتى وتعاونها لإنجاح مهمات المخطط اللغوي¹⁸.

وما هدف التخطيط اللغوي إلا حل المشكلات اللغوية وغير اللغوية التي تعترض الإنسان بوصفه فردا، والشعوب والدول بوصفها مجموعات بشرية تتفاعل مع بعضها بعضا، وبالتالي فالتخطيط يشمل الدول والأفراد باعتباره: "مجموعة التدابير المعتمدة والموجهة بالقرارات والإجراءات العلمية لاستشراف المستقبل وتحقيق أهدافه، من خلال الاختيار بين البدائل والنماذج الاقتصادية والاجتماعية لاستغلال الموارد البشرية والطبيعية والفنية المتاحة إلى أقصى حد ممكن لإحداث التغيير المنشود"¹⁹.

ويتفق أغلب الباحثين على أن مصطلح التخطيط اللغوي مصطلح غير حديث النشأة بل هو قديم، وجد وظهر قبل وجود علم اللغة التطبيقي بفترة غير وجيزة، حيث ظهر هذا المصطلح مع الحملات الاستعمارية على البلدان العربية وخاصة بلدان المغرب العربي، أين سطرت الحكومتان الفرنسية والبريطانية برنامجا تدميريا قصد طمس كل المقومات الوطنية للشعوب، وكذا معالم هويتها الشخصية حيث تأتي اللغة العربية في الطليعة.

وقد سعى المستعمر إلى اتباع سياسة تهدف إلى تدمير اللغة الأصلية وإحلال لغته ليحكم قبضته على هوية الشعوب المغلوبة على أمرها بالقوة في آسيا وإفريقيا والأمريكتين، مما يشكل "سياسة وتخطيطا لغويا واضحا يهدف إلى نشر لغة وثقافة المستعمر، ويضمن تبعية شعوب المستعمرات اللغوية والثقافية والتعليمية والاقتصادية للمستعمر حتى بعد رحيله، وهذا ما أثبتته التجربة بالفعل، فلقد مارست الدول الاستعمارية ضغوطا على تلك الشعوب المتحررة لاتخاذ لغة المستعمر السابق الفرنسية أو الانجليزية لغة رسمية لتلك الشعوب بعد نيلها الاستقلال"²⁰.

¹⁸- فواز عبد الحق الزبون، دور التخطيط اللغوي في خدمة اللغة العربية والنهوض بها، ص: 86.

¹⁹- علي دهماني، مباحث لغوية وتربوية، دار المنار، القاهرة، مصر، 1988م، ص: 213.

²⁰- عبد الهادي الجوهري، وآخرون، دراسات في التنمية الاجتماعية، مدخل إسلامي، ص: 93.

وقد عمل كل من الاستعمارين الفرنسي والبريطاني على اقتسام المستعمرات لغويا بهدف نشر السيطرة الاستعمارية كاملة حيث: "لم تتوقف ممارسة السياسات اللغوية والتخطيط اللغوي للدول الاستعمارية عند تقاسم دول العالم الثالث من المستعمرات السابقة لغويا بين الفرنسية والانجليزية، بل امتد إلى العولمة اللغوية التي أعادت بموجبها الولايات المتحدة وبريطانيا إمبراطورية اللغة الانجليزية التي لا تغيب عنها الشمس. ودعمت الولايات المتحدة وبريطانيا تعليم اللغة الانجليزية في جميع دول العالم دعما ماديا ومعنويا لا مثيل له في التاريخ"²¹.

وقد مارس المستعمر الفرنسي في بلدان المغرب العربي تخطيطا لغويا مدروسا، وذلك من خلال تأسيس المدارس والمعاهد التعليمية والعسكرية التي تستقطب التلاميذ وتكونهم مجانا لتولي مناصب إدارية وسياسية في الدولة الفرنسية، وهذا ما تحقق قبل وبعد الاستقلال: "وبوسائل منها استقطاب البعثات من أبناء المستعمرات، ودعم نشر ثقافات ولغات المستعمر، ودعم نشر المدارس والجامعات الأجنبية والمدارس التبشيرية في الدول فرانكفونية ودول الكومنولث وغيرها من دول العالم الثالث"²².

وبهذه السياسة اللغوية التي انتهجها المستعمر الفرنسي في بلدان المغرب العربي والقاضية بنشر لغتها في جميع مستعمراتها أبقت إرثا ثقيلًا حتى بعد خروجها على السنة شعوبها التي مازالت إلى يومنا هذا لم تتخلص منه ومن آثاره السلبية على التعامل اللغوي، سواء على المستوى النخبوي أو العامي، رغم محاولات العديد من الهيئات العلمية والجمعيات الثقافية والوطنية الوقوف ضد هذه العولمة المنظمة أثناء وبعد الاستعمار.

وقد سعت المنظمات العالمية الداعمة لحقوق الإنسان إلى إقرار حق الشعوب في اختيار لغتها الأم، وناصرت الشعوب العربية في طلب استقلالها وتحريرها من الهيمنة الاستعمارية، ونصت المعاهدة الثقافية لجامعة الدول العربية سنة 1946 في البند السابع على التمسك باللغة العربية، وذلك عن طريق الترجمة والتعريب حيث تنص المعاهدة على ما

²¹- رشدي هنداي، العربية والمعارف العلمية، دار الاعتصام، القاهرة، 1986م، ص: 125.

²²- المرجع نفسه، ص: 122.

يلي: "رغبة في مسايرة الحركة الفكرية العالمية تعمل دول الجامعة العربية على تنشيط الجهود التي تبذل لترجمة عيون الكتب الأجنبية القديمة والحديثة وتنظيم تلك الجهود"²³.

وعلى هذا الأساس تكونت المجامع العربية التي كان لها دور فعال في تنشيط مسيرة التعريب والترجمة، ودعم وجود اللغة العربية في أقطارها، منها مجمع اللغة العربية في بغداد وعمان والجزائر والمغرب، ومكتب تنسيق التعريب في الرباط، وأكاديمية المملكة المغربية في الرباط، واتحاد الجامعات العربية، ومؤتمرات التعريب التي تشرف عليها المنظمات العربية للتربية والثقافة والعلوم، والتي كانت تسعى إلى: "تحقيق السياسة اللغوية بإثراء اللغة العربية وإحلالها المكانة اللائقة بها كلغة للعلم والحضارة والتكنولوجيا، وكلغة عمل لمنظمة الأمم المتحدة ومنظماتها"²⁴.

وفي ظل الوضعية اللغوية التي خرجت بها الدول المغاربية، حاولت هذه الأخيرة انتهاج سياسة لغوية تهدف من خلالها إلى وضع تخطيط لغوي يقضي على وجود اللغات الاستعمارية، ويدعم وجود اللغة العربية لدى النخبة والمتعلمين وذلك باتخاذ سياسة التعريب كوسيلة إلى جانب الكفاح المسلح أثناء الاستعمار، وإلى جانب التشييد والبناء بعد الاستقلال.

ثانيا: واقع التخطيط اللغوي في بلدان المغرب العربي:

يعتبر التعليم أحد أهم المجالات التي يشملها التخطيط اللغوي، وقد سمي كذلك بالتخطيط التعليمي لأنه يشكل القاعدة الأولى والمنطلق للممارسة اللغوية الصحيحة عند المتعلم الذي سيستعمل اللغة وأدواتها. وقد أشرنا آنفا إلى وضعية المدرسة المغاربية إبان الاستعمار، حيث كانت مطية لتنفيذ سياسة لغوية استعمارية بحثة استهدفت المقررات التعليمية والمعلمين. وإذا ألقينا نظرة على موقف دول المغرب العربي من تعليم اللغات الأجنبية نلاحظ أن ثمة اعتمادا للغة العربية ابتداء من الصف الأول

²³- عبد الهادي الجوهري، دراسات في التنمية الاجتماعية، مدخل إسلامي، ص: 89.

²⁴- رشدي هندوي، العربية والمعارف العلمية، ص: 122.

من مرحلة التعليم الابتدائي حرصا منها على صون الهوية العربية الإسلامية، وتطبيع السنة أبنائها على استخدام اللغة العربية. غير أنها أدركت - إلى جانب ذلك - أهمية تعليم اللغة الأجنبية في عصر المعلومات والعولمة وذلك في وقت مبكر. فقد أدركت ليبيا أهمية اللغة الانجليزية وأهمية البدء مبكرا في تعليمها للناشئة، حيث أدخلت تعليم الانجليزية بدءا من الصفوف العليا من التعليم الابتدائي، أما في تونس فلا تدرس اللغة الفرنسية قبل الصف الثالث الابتدائي على الرغم من محافظة اللغة الفرنسية على مكانتها ووجودها، وتحديها لجهود التعريب. وكذلك الشأن بالنسبة للمغرب الذي لا تدرس فيه الفرنسية قبل الصف الثالث من التعليم الابتدائي. وقد تم الإعلان في المغرب على أن عقد 2009-2000 هو عقد التعليم مع الاهتمام المكثف باللغة الانجليزية مؤخرا في كل من المغرب وموريتانيا والجزائر وتونس إلى جانب اهتمام ليبيا اهتماما كبيرا بهذه اللغة منذ سنوات عديدة²⁵.

وقد انتهج المغرب تخطيطا لغويا عن طريق اتباع سياسة التعريب التي مرت بتجارب لم تؤد إلى النتائج المبتغاة، والسبب في ذلك يعود إلى عدم الاستعداد له، سواء بالنسبة إلى شق تكوين المعلمين، أو بالنسبة لوضع المقررات والكتب المدرسية، حيث كان يعتمد في الغالب على إطلاق شعارات غير مطبقة بشكل فعلي أو مطبقة بطريقة سيئة، وقد حدث ذلك منذ بداية الاستقلال.

فقد عربت العلوم في المرحلتين الإعدادية والثانوية إلا أن ذلك أثار عديد المشاكل للتلاميذ الذين كانوا يضطرون إلى مواصلة تعليمهم الجامعي بغير اللغة العربية، ولعل ذلك كان من بين أسباب التوجه إلى تعلم اللغة الانجليزية والاسبانية والتوجه إلى الجامعات الأمريكية بصفة خاصة²⁶، لتتقاسم بعدها اللغة الأجنبية الحقول التخاطبية، ثم الحقول المعرفية مع اللغات الوطنية في التعليم العام: "ونشأت اختيارات تراتبية في التعليم

²⁵ - ينظر: علي محمد رحومة -مجتمع المعرفة وبلدان المغرب العربي الجامعية المغاربية - طرابلس، 1، 2007، ص:77.

²⁶ - عباس الجراري، واقع اللغة العربية في المغرب، مجمع اللغة العربية بالقاهرة - مؤتمر اللغة العربية والتعليم، 2009، ص:06.

لصالح اللغة الفرنسية أداة للتفتح والثقافة، وحاول الميثاق الوطني تجاوز الوضع اللغوي السائد بعد إخفاقات شعارات التعميم والتوحيد²⁷، لينتهي الأمر في المغرب إلى الاكتفاء بتعريب بعض المواد العلمية في أطوار الابتدائي والإعدادي والثانوي، ويتوقف الأمر عند هذا الحد، ثم تدرس المواد العلمية في الجامعة باللغة الأجنبية وهي الفرنسية.

اتجه المغرب بعدها إلى الدعوة للتعدد اللغوي من خلال الميثاق الوطني مبررة ذلك بأن: " اللغات الحديثة تملئها ضرورة الانفتاح على الحياة العصرية، وهي وسيلة لفك العزلة الثقافية عن الأجيال الصاعدة وتسهيل عملية الاندماج في التنمية"²⁸.

يشتمل الوضع اللغوي في المغرب لغات مختلفة إلى جانب اللغة الوطنية وتتمثل هذه اللغات في :

- 1- اللغة الأم: وهي العربية العامية في سائر البلاد، وتؤدي الأمازيغية هذه الوظيفة في المناطق التي لم ينتشر فيها التعريب. وقد تقرر إدراج اللغة الأمازيغية في المنظومة التعليمية في المغرب تدريجيا .
- 2- اللغة العربية الفصحى، وهي اللغة الوطنية الرسمية ولغة الثقافة والتعليم .

3- اللغات الأجنبية، وتعد الفرنسية لغة أجنبية أولى في المغرب حيث تدرس بها معظم المواد في الجامعة، وتدرس إلى جانبها كل من الانجليزية والاسبانية ابتداء من المراحل التعليمية العامة²⁹ . والملاحظ لوضع اللغة العربية في المغرب يدرك أن السياسة اللغوية التي تتبعها هي سياسة عدم التدخل، وهذه السياسة لا تخدم هدف الدفاع عن اللغة العربية وعن استعمالها في جميع الوضعيات والمواقف اللغوية: "وسياسة عدم التدخل تنتهجها الدول حينما تكون لغتها الوطنية قوية متمكنة لا يخشى عليها، وأما حين تكون اللغة الوطنية مهددة باللهجات الدوارج، وباللغات الأجنبية، وبضعف الإمكانيات المتاحة لتعلمها،

²⁷- محمود السيد ، واقع اللغة العربية في الوطن العربي وآفاق التطوير ، مجلة اللسان العربي ، ص: 26.

²⁸- المرجع نفسه ، ص: 26.

²⁹- عباس الصوري، - في الوضع اللغوي بالمغرب - المؤتمر الأول للأعضاء المراسلين لمجمع اللغة العربية في القاهرة 4-6 أبريل 2009، ص: 01.

وبانحسار تداولها في الإعلام والإدارة وغيرهما، وبترجع وضعها الاعتباري في مجال العلوم والاقتصاد، فإن ذلك يعد إسهاما في هذا الوضع وإبقاء عليه³⁰.

ثالثا: راهن التخطيط اللغوي في الجزائر

فقد بدأ تطبيق التخطيط اللغوي فيها بعد الاستقلال بانتهاج سياسة التعريب كأداة مقاومة للاستعمار الفرنسي. وكان التعريب مرادفا للفتح من أجل التحرر من هيمنة اللغة الفرنسية لمعالجة المشكلات اللغوية التي نجمت عن طمس الهوية اللغوية والقومية، لذا كان تركيز التخطيط اللغوي على العمل الجاد والمنظم نحو إيجاد حلول مدروسة لتلك المشكلات اللغوية حسب حجمها ونوعيتها. فبدأ التعريب: " في أول دخول مدرسي للجزائر المستقلة أي في أكتوبر 1962م، واتخذت وزارة التربية آنذاك قرارا يقضي بإدخال اللغة العربية في جميع المؤسسات التعليمية التابعة لها بنسبة سبع ساعات في الأسبوع"³¹. وهذه هي الخطوة الأولى التي خطتها الجزائر نحو تعريب المدرسة الابتدائية باعتبارها نواة المجتمع الذي ستنبنى عليه الثقافة الجزائرية. وبعد سنتين أي في العام الدراسي 1964-1965: " تقرر تعريب السنة الأولى الابتدائية تعريبا كاملا "³²، وعربت السنة الثانية جزئيا العام الدراسي 1967-1968، ثم السنة الثالثة جزئيا في العام الدراسي 1968-1969، حيث درست المواد الاجتماعية بالعربية. أما العلوم والرياضيات فبالفرنسية، ثم عربت الثالثة والرابعة كليا في الحقبة الممتدة بين 1971 و1974.

واستمر التعريب في الابتدائي والثانوي جزئيا ثم كليا إلى سنة 1980 حيث شرع بتنفيذ المدرسة الأساسية، وعمت القطر الجزائري كله عام 1989م: " إلى أن شمل التعريب في الثانوي والعالي جميع العلوم

³⁰- المرجع السابق، ص: 27 وكذلك ينظر: عز الدين البوشيخي - نحو مقارنة وظيفية تواصلية لتعليم اللغة العربية - المنظمة العربية للترجمة والثقافة والعلوم حزيران-يونيو 2009، ص: 07.

³¹- عبد الرحمن سلامة بن الدوايمية، التعريب في الجزائر من خلال الوثائق الرسمية، ص: 07، د، ط، الجزائر، 1981، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

³²- المرجع نفسه، ص: 76.

الإجتماعية والإنسانية والحقوق، وبقيت العلوم تدرس بالفرنسية في كل الجامعات ماعدا المدارس العليا الثلاث التي تدرس فيها العلوم بالعربية لإعداد أساتذة التعليم الثانوي لتدريس هذه المواد. وتخرجت أول دفعة في إجازة العلوم الاجتماعية في جوان 1985³³، ليبقى بعد ذلك التعليم العالي في شقه الخاص بكليات العلوم قلعة محصنة لا تنفذ إليها العربية إلى يومنا هذا، رغم مصادقة الشعب الجزائري في استفتاء 27 جوان 1986 على الميثاق الوطني الذي يعتبر المصدر الأساسي للتشريع في الجزائر وقد جاء فيه: "إن اللغة العربية عنصر أساسي للهوية الثقافية للشعب الجزائري، ولا يمكن فصل شخصيتنا عن اللغة الوطنية التي تعبر عنها، ولهذا فإن تعميم استعمال اللغة العربية وإتقانها كوسيلة عمل خلاقة يشكلان إحدى المعومات الأساسية للمجتمع الجزائري في مجال التعبير عن مظاهر الثقافة، وعن الايديولوجيا، وأن الجزائر باستعادتها توازنها من خلال التعبير عن إرادتها الوطنية بالأداة المشروعة الأصلية والمحكمة التجهيز ستساهم في إثراء الحضارة الإنسانية بصورة أفضل وتستفيد في الوقت نفسه عن دراية من مكتسباتها وخبراتها، إن الخيار بين اللغة الوطنية ولغة أجنبية أمر غير وارد البتة ولا رجعة في ذلك"³⁴.

يظهر من خلال هذا المرسوم أن القرار تم اعتماده ولكن في الواقع رأينا عكس ذلك، يقول الأستاذ صالح بلعيد: " يجب العلم بأن اللغة الفرنسية لغة أجنبية في الدستور، لكن في الاستعمال لها نصيب وافر إن لم نقل هي اللغة الرسمية، وهي لغة السوق اللسانية الوطنية حاليا بل لغة الانتقاء الاجتماعي ... اكتسبت حق الاستعمال في وطننا بسبب التراجع عن التعريب، ولعدم وجود سياسة لغوية واضحة، وعدم وضوح خطابات الحكومات حول التخطيط اللغوي"³⁵. ويقول أيضا: "إن حضور الفرنسية في الواقع اللغوي الجزائري أمر لا يمكننا إنكاره، وأصبح الفرانكفونيون يصلون ويجولون في الساحة الجزائرية كيفما شاءوا، وقد كانوا في

³³- محمود السيد، واقع اللغة العربية في الوطن العربي وآفاق التطوير، ص: 24.

³⁴- محمد عابد الجابري، السياسات التعليمية في أقطار المغرب العربي (المغرب، الجزائر، تونس)، ط2، منتدى الفكر العربي، عمان، 1990، ص: 138.

³⁵- صالح بلعيد، المازيغية في خطر؟، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2011م، ص: 292.

الستينيات والسبعينات يتذرعون بعدم توفر العربية على المصطلحات الكافية، وأما اليوم فقد أعلنوها جهرا أن العربية لا تصلح أن تكون لغة الحداثة والحضارة الراهنة³⁶، وأعتقد أن الأخطر هو ما يحدث على مستوى النظام التربوي، كيف أن اللغة الفرنسية بدأت تتغلغل من جديد إلى القاعدة الأولى من التعليم بداية بالروضة إلى الابتدائي، حيث تم إدخال اللغة الفرنسية في الجزائر ابتداء من السنة الثالثة.

وملاحظ إذا بالنسبة لسياسة التخطيط اللغوي في بلدان المغرب العربي أن دساتيرها تنص على أن اللغة الرسمية فيها هي العربية، ولكن الفرق شاسع جدا بين ما تنص عليه هذه الدساتير والواقع العلمي في المجتمع، فعلى مستوى الإدارة والتعليم العالي مازالت اللغة الفرنسية هي اللغة الغالبة والمستعملة: " وإذا كانت السياسة اللغوية في العملية التعليمية والتخطيط اللغوي في ضوئها غائبين، فإن السياسة اللغوية لاستخدام العربية في المجتمع غائبة هي بدورها"³⁷، وثمة انتشار متزايد للغة الفرنسية في أجهزة الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية، وفي الإعلانات والعناوين التجارية، وأسماء الأمكنة التي تكتب بالفرنسية، كما أن معظم المسؤولين ورجال الدولة والأعمال لا يستعملون في الأعم الأغلب - إن في استجواباتهم أو أحاديثهم خلال اجتماعاتهم - اللغة العربية: " ومثل ذلك يقال فيما يجري في معظم الندوات والمؤتمرات، ولا سيما ما يتصل منها بجوانب علمية أو تقنية بحجة عدم إسعاف المصطلحات اللازمة لها، مع أن السبب الحقيقي كان هو نظرتهم السلبية للغة الوطنية إضافة إلى تكوينهم الفرنسي الذي يجعلهم لا يحاربون العربية فقط، بل حتى الانجليزية والاسبانية. وإن في الخفاء"³⁸.

وبعد أن تعرفنا إلى الواقع اللغوي في بلدان المغرب العربي في العملية التعليمية التعليمية وفي خارج نطاقها بات لزاما علينا أن نسأل: ما

36- الأمم الحية أمم قوية بلغاتها، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري - تيزي وزو - 2012م، ص: 245.

37- محمود السيد، واقع اللغة العربية في الوطن العربي وآفاق التطوير، ص: 45.

38- عباس الجراري، واقع اللغة العربية في المغرب، ص: 07.

سبل الارتقاء بهذا الواقع في مختلف مجالاته ؟ وما التصور المقترح لمعالجة المشكلات التي تكشف هذا الواقع ؟

فنتيجة لما سبق فإنني أرى أن التخطيط اللغوي في بلدان المغرب العربي لابد أن ينطلق من نقاط رئيسة هي:

- 1- العمل على إيجاد خطة توفيقية ترضي جميع الأطراف الفاعلة.
- 2- الانطلاق من الثوابت الوطنية وعدم الخروج عنها أو عليها .
- 3- الوضوح في المنطلقات والغايات والأهداف.
- 4- إعطاء مساحة منطقية ومدرسة للغات الأجنبية من أجل الانتفاع منها فقط، والابتعاد عن اللغة الأجنبية الواحدة، وذلك بالاستفادة من اللغات الأجنبية الأخرى الفاعلة في الساحة.
- 5- تحديد العلاقة بين اللغة القومية وغيرها من اللغات الوطنية والمحلية ضمانا لوحدة الأمة الفكرية والسياسية، وتحقيق المحافظة على تراثها الشعبي وتنميته.
- 6- الاهتمام بلغة التدريس لأنها من أهم المجالات التي على التخطيط اللغوي أن يمسها ويخطط لها، ذلك أن مجال المدرسة هو البيئة الأولى للطفل ، وهي الأخطر من بين المؤسسات التي يتلقى فيها الفرد لغته، وذلك بالتركيز على المحتوى اللغوي المقدم والمعلم مع ضرورة معالجة ظاهرة هجرة الكفاءات، وبخاصة تلك التي تخدم لغتنا العربية. فتدني مستوى أطفالنا سببه المعلم لا المتعلم، ويضاف إلى ذلك الإهمال الذي نجده عند المسؤولين، والمناهج غير المدروسة التي تطبق في مدارسنا.

- 7- الاهتمام بلغة الإعلام سواء المقروءة منها أو المسموعة أو المرئية لما للغة الإعلام من كبير أثر في مختلف طبقات المجتمع، وهذا لا يعني أن نخاطب الجمهور بلغة امرئ القيس أو النابغة، ولكن بمثل ما نزل إلى أدنى مستوى من الفصاحة، كذلك نستطيع أن نصعد بالجمهور إلى اللغة السليمة دون أن نعوذه على هذه اللغة الهجينة الرديئة، وذلك من خلال إصلاح لغة الصحافة، وإعادة النظر في كفاءة العمل في الصحافة بالنظر إلى ضرورة توفر شرط التحكم الجيد والمقبول على الأقل في اللغة المعتمدة.

8- تعميم استعمال اللغة العربية، فإذا كان للتخطيط اللغوي مجالات ومظاهر متنوعة، فمن بين المجالات الرئيسة للتخطيط اللغوي في العالم العربي هو تمكين اللغة العربية في محيطها، وفي مختلف مجالات الاتصال والتواصل، وخدمة جانبها الداخلي وتطويعه نحو إنتاج أدوات فعالة تخدم اللغة، كوضع المعاجم والمصطلحات وتعريب البرامج الحاسوبية بهدف جعلها لغة تعبيرية تامة³⁹.

9- إتباع التخطيط اللغوي بقرار سياسي حازم ليسهر على العملية التنفيذية السليمة وذلك بتدعيم المنظمات والمؤسسات والأشخاص، وهو ما يشكل عاملا مساعدا في الإصلاح اللغوي، إن السلطة ذات أهمية في المسائل كما هو الشأن في المجالات الأخرى من الحياة الاجتماعية⁴⁰، وعلى صاحب القرار اتخاذ الإجراءات الاستيعابية التالية:

أ- استخدام العربية الفصيحة في التعليم بجميع مراحل ومختلف مستوياته وتخصصاته خاصة في مواد العلوم والتكنولوجيا في التعليم العالي.

ب- تنظيم علاقة اللغة العربية مع اللغات الأجنبية، وتحديد أدوار كل منها بما يحجب الثنائية المفقرة للغة العربية لتحل لغتنا محلها الطبيعي في كل المجالات.

ج- تطوير طرائق وأساليب تدريس اللغة العربية في التعليم العام وتنمية قدرات التلاميذ على استخدام اللغة أداة طيعة للتعبير الوظيفي والإبداعي تحدثا وكتابة.

د- العناية باللسانيات الحاسوبية بحثا وتطبيقا وتدرسا بما يساعد على استخدام اللغة العربية لدخول مجتمع المعرفة وتحقيق التنمية البشرية، والأخذ بآخر معطيات العلم والتكنولوجيا في الإنتاج والخدمات.

هـ- العناية بالترجمة العلمية والتكنولوجية تماشيا مع تدريس العلوم والتكنولوجيا باللغة العربية.

الخاتمة

³⁹- أمانة إبراهيمي، وضع اللغة العربية بالمغرب وصف ورصد وتخطيط، ط01 الرباط 2007، منشورات زاوية، ص: 62.

⁴⁰- خولة طالب الإبراهيمي، الجزائريون والمسألة اللغوية، ص: 190-191.

لقد أثبتت التجارب أن الإصلاح اللغوي الذي لا يعتمد خططا واضحة غالبا ما يكون مآله الفشل، ولكي يؤتي التخطيط أكله وتجنّي ثماره عليه أن يرفق أو يدعم بسياسة لغوية من قبل الدولة والحكومة الوطنية تعمل على تنفيذ هذا التخطيط ودعم توصياته، ولا بد أن نفكر في مستقبل هذه اللغة وبخاصة المصطلح العلمي العربي الذي يمثل أحد أهم الميادين التي يتحدد فيها مصير اللغة العربية لغة واسعة من حيث الإحاطة بكل الدلالات، متمكنة من اختراع أي مصطلح لما جد في صعيد العلوم والثقافة وما تاريخها التليد إلا دليل على ذلك.

قائمة المصادر والمراجع

- 1- الشريف حسن. العولمة والثقافة واللغة: القضايا الفنية في أسئلة اللغة، الرباط، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب. 2002.
- 2- عبد القادر الفاسي الفهري، أزمة اللغة العربية في المغرب بين اختلالات التعددية وتعثرات الترجمة، بيروت، دار الكتاب الجديدة، 2010.
- 3- ابن منظور ، لسان العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، م.7
- 4- الخليل بن أحمد الفراهيدي ، العين ، تح : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي مؤسسة دار الهجرة ، إيران ، 1409 ، م.3
- 5- المرتضى الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس، تح : عبد الستار أحمد فراج ، مطبعة حكومة الكويت ، 1965م.
- 6- أحمد شاهين ، قضايا تربوية، وكالة المطبوعات الكويتية، الكويت ، 2005م.
- 7- خولة طالب الإبراهيمي، الجزائريون والمسألة اللغوية، تر: محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، ط3. 2007.
- 8- على السيد، في قضايا اللغة التربوية، دار المريخ، السعودية، د.ت.

- 9- فواز عبد الحق الزبون، دور التخطيط اللغوي في خدمة اللغة العربية والنهوض بها، ع 27 مجمع اللغة الأردني، مؤتمر اللغة العربية في المؤسسات الأردنية واقعها وسبل النهوض بها، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، الأردن.
- 10- فاسولد رالف ، علم اللغة الاجتماعي، تر: إبراهيم بن صالح الفلاي، جامعة الملك سعود ، 2000 م.
- 11- محمد المنجي الصيادي، التعريب وتنسيقه في العالم العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 1985م.
- 12- علي دهماني، مباحث لغوية وتربوية، دار المنار القاهرة، مصر، 1988م.
- 13- عبد الهادي الجوهري وآخرون، دراسات في التنمية الاجتماعية، مدخل إسلامي .
- 14- رشدي هنداي، العربية والمعارف العلمية، دار الاعتصام ، القاهرة، 1986م.
- 15- محمد رحومة، مجتمع المعرفة وبلدان المغرب العربي الجامعية المغربية ، طرابلس، 2007م، 1م.
- 16- عباس الجراري، واقع اللغة العربية في المغرب، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مؤتمر اللغة العربية والتعليم، 2009 م.
- 17- محمود السيد، واقع اللغة العربية في الوطن العربي وآفاق التطوير، مجلة اللسان العربي .
- 18- عباس الصوري، في الوضع اللغوي بالمغرب – المؤتمر الأول للأعضاء المراسلين لمجمع اللغة العربية في القاهرة : 4-6 أبريل 2009.
- 19- عز الدين البوشيخي، نحو مقارنة وظيفية تواصلية لتعليم اللغة العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم حزيران يونيو، 2009.
- 20- عبد الرحمن سلامة بن الدوايمة، التعريب في الجزائر من خلال الوثائق الرسمية، د، ط، الجزائر 1981م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

- 21- محمد عابد الجابري، السياسات التعليمية في أقطار المغرب العربي (المغرب ، الجزائر ، تونس) ط2، منتدى الفكر العربي، عمان ، 1990م.
- 22- صالح بلعيد، الأمازيغية في خطر؟ منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو، 2011م.
- 23- آمنة إبراهيمي، وضع اللغة العربية بالمغرب، وصف ورصد وتخطيط ، ط1، الرباط ، 2007 منشورات زاوية.